

تفسير السعدي

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ

{أو} كذلك لقد تاب الله {على} الثلاثة الذين خالفوا عن الخروج مع المسلمين، في تلك

الغزوة، وهم: أكعب بن مالك وصاحبه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصباح

والسنة {الحتى} إذا {حزنوا حزناً عظيماً، و} {اضاقت} عليهم الأرض بما رحبت {أي} على

سعتها ورحبها {أوضاقت} عليهم أنفسهم {التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاقت} عليهم

الفضاء الواسع، والمحجوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر

مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا

رسوله على كل شيء {أوظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه} أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه

لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين،

وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة {ثم} تاب عليهم {أ}

أَيُّ أُمَّةٍ أَذِنَ فِي تَوْبَتِهِمْ وَوَقَفَهُمْ لَهَا {الَّتِي تُوْبُوا} أَيُّ أُمَّةٍ لَتَتَّعَ مِنْهُمْ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ} أَيُّ أُمَّةٍ كَثِيرَ التَّوْبَةِ وَالْعَفْوِ، وَالْغُفْرَانَ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْعَصِيَّانِ، {الرَّحِيمُ} وَصَفَهُ
الرَّحْمَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا تَزَالُ تَنْزِلُ عَلَى الْعِبَادِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، فِي جَمِيعِ اللَّحْظَاتِ،
مَا تَقُومُ بِهِ أُمُورِهِمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ. وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تَوْبَةَ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَجَلُ
الْغَايَاتِ، وَأَعْلَى النِّهَايَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا نِهَايَةَ خَوَاصِّ عِبَادِهِ، وَامْتَنَ عَلَيْهِمْ بِهَا، حِينَ
عَمِلُوا الْأَعْمَالَ الَّتِي يَحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا. وَمِنْهَا: لَطْفُ اللَّهِ بِهِمْ وَتَثْبِيثُهُمْ فِي إِيْمَانِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
وَالنَّوَازِلِ الْمَزْعُوجَةِ. وَمِنْهَا: أَنَّ الْعِبَادَةَ الشَّاقَّةَ عَلَى النَّفْسِ، لَهَا فَضْلٌ وَمِزْيَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا،
وَكَلَّمَا عَظُمَتِ الْمَشَقَّةُ عَظُمَ الْأَجْرُ. وَمِنْهَا: أَنَّ تَوْبَةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ بِحَسَبِ نَدَمِهِ وَأَسْفِهِ
الشَّدِيدِ، وَأَنَّ مَنْ لَا يَبَالِي بِالذَّنْبِ وَلَا يَحْرَجُ إِذَا فَعَلَهُ، فَإِنَّ تَوْبَتَهُ مَدْخُولَةٌ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهَا
مَقْبُولَةٌ. وَمِنْهَا: أَنَّ عَلَامَةَ الْخَيْرِ وَزَوَالَ الشَّدَةِ، إِذَا تَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَعَلُّقًا تَامًا، وَانْقَطَعَ
عَنِ الْمَخْلُوقِينَ. وَمِنْهَا: أَنَّ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ بِالثَّلَاثَةِ، أَنْ وَسَمَهُمْ بِوَسْمٍ، لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِمْ فَقَالَ:
{أَخْلَفُوا} إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْلَفُوهُمْ، {أَوْ أَخْلَفُوا} عَنْ مَنْ بَتَّ فِي قَبُولِ عَذْرِهِمْ، أَوْ
فِي رَدِّهِ. وَأَنْهُمْ لَمْ يَكُنْ تَخْلَفُهُمْ رَغْبَةٌ عَنِ الْخَيْرِ، وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ: {أَخْلَفُوا} وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ

تعالى من عليهم بالصدق.